الباب الحادى والعشرون

فيمن ذم التطفيل وأصحابه ، وهجا به غيره وعابه

- ابن عمر يتمثل ببيت !
- قرة عين الطفيلي ودِينُه !
- طفيلي وسائل !
- يأكل أرزاق الناس !
- أطْفَلُ من ذباب !
- هجاء لاذع !
- رؤيا طفيلي !
- أطفل من ليل على نهار !
- كيف يأكل الطفيلي ؟!

الباب الحادى والعشرون

فيمن ذم التطفيل وأصحابه ، وهجا به غيره وعابه !

ابن عمر يتمثل ببيت !

● حدّث قرة عن محمد قال : كان ابن عمر يتمثل بهذا البيت :

يحبُّ الخمر مِن مالِ النَّدامَى ... ويكره أن تُفارقه الفلُوس[1]

وأبيات مماثلة :

● وأنشد محمد بن الحسن بن عبيد الله البزار لبعضهم :

يُحِبّ الرّاحَ من مالِ النّدامى ... ويأكُلُ أكل شَدّادِ بن عادِ[2]
ولايَرْوى من الأشعارِ شيئاً ... سوى بيت لأبرهة العبادى
قليل المال تُصْلِحهُ فيبقى ... ولا يبقى الكثير على الفساد

قرة عين الطفيلى ودينه :

طُفَيْلِىّ يرى التطفيلَ ديناً ... وقُرّةُ عينه غِشْيَانُ عُرْس
إذا قبضت يَدَاهُ على رَغيفٍ ... تَقَسَّمَ نهبَهُ بيَدٍ وضِرس[3]

طفيلى وسائل :

● وقال أحمد الزهرى المخطيب بالدينور[4] : حدثنى آدم الطويل قال : دخل حانوتى[5] رجل يأكل شيئا من الطعام ، فتقدم سائل ، فقلت له : ماأكثرَ تردُّدَكَ إلى !

---

(١) الندامى : جمع نديم ، وهو من يجالس ويحادث على الشراب ، والبيت صور لونا من التطفيل ، فهو يحب الخمر من مال غيره ممن ينادمونه ، ويكره أن تفارقه فلوسه : جمع فَلْس .

(٢) الراح : الخمر ، ويأكل أكل شداد بن عاد : أى أكلاً لَمًّا .

(٣) نهبه : أخذه وتناوله ، وهو يسلط الأضواء على طريقة أكله بألفاظ مصورة تعطيك ملامح الصورة الكريهة : قبضت يداه ـ تقسم نهبه ، بيد وضرس . إنها صورة حيوان مفترس .

(٤) الدّينوَر : مدينة من أمهات مُدُن الجبال فى كردستان الإيرانى .

(٥) الحانوت : الدكان .

فقال الغريب الذى فى الحانوت : لعله كما قال الشاعر :

لو طُبختْ قِدْرٌ بمَطْمُورةٍ أوفى ذُرى قَصْرٍ بأقصى الثغور
وكنتُ بالصّينِ لوافيتُها يا عالمَ الغيبِ بما فى القدور[1]

يأكل أرزاق الناس !

وأنشد محمد بن على بن عبيد الله الكرخى :

لو أَوْقدَ الراعى على شاهقٍ بالطّرْق وافى جبلَ الطرق
أو كانتِ الإبْرَةُ سَدًّا له لانسلّ كالبرق من الخرْق
تأكلُ أرزاقِ بنى آدمٍ كأنك مخلوق بلا رزْق[2]

أطْفَلُ من ذباب !!

وأنشد محمد بن على الجلّاب لبعضهم :

أسرفُ فى التطفيل من ذُبابِ على طعامٍ وعلى شراب
لو أبصر الرُّغفانَ فى السّحَابِ لطار فى الجوّ مع العُقابِ[3]

هجاء لاذع لطفيليّ يدْعَى أبا الفضائل :

وأنشد على بن المحسن بن على القاضى لأبى على سليمان بن الفتح الموصلى المعروف بابن الزملَدم يهجو أبا إسحاق بن حجر الأنطاكى الملقب «أبا الفضائل» ويرميه بالتطفيل :

---

(١) بمطمورة : بحفرة تحت الأرض ، أو فى ذُرى : أعلى . والثغور : جمع ثغر . البلاد التى على الحدود . والمراد : أن لديه حاسة شمّ قوية ، فهو يشَمّ رائحة قدور الطهى عن بعد فيوافيها ، ويا هب إليها .

(٢) الشاهق : الجبل العالى ، والطّرْق : الماء المجتمع من السيل الذى طرقته الأبل ، وبالت فيه وبعرت ؛ فهو مستنقع . والشاعر يقول : لو أن راعيا أضاء ناراً على جبل ، وفى الطريق إليه مستنقع ماء ؛ فإن ذلك كله لا يحول بين الطفيلى والوصول إليه . ولو كان هناك منفذ ضيق كسم الخياط ما حال ذلك دون الوصول إلى هدفه . ومن عجب أنه يأكل أرزاق الناس دون أن يبذل جهدا فى الحصول على رزق .

(٣) قال فى مجمع الأمثال للميدانى : «أطفل من ذباب» حيث يضرب المثل بالذباب فى التطفيل ، إذ ليس هناك من يدعوه إلى طعامه وشرابه . والعقاب ـ بضم العين ـ طائر جارح له مخالب حِداد .

مُطَفّلٌ أَطْفَلُ مِنْ ذُبابِ ... على طعامٍ وعلى شَرابِ
لقب طُنْزاً أشرف الألقاب ... أدْوَرُ بالمِوْصِلِ من دولاب[1]
يمر مرّ الريح والسَّحابِ ... ينزلُ تطفيلاً ببابٍ بابِ
نُزُولَ شيبٍ لاح فى شباب ... يدخلُ بالحيلة فى الأنقابِ
مكابرا ينسابُ كالحُباب ... لايفْرَقُ الردّ من البوابِ[2]
وإن له أغلظ فى الخطابِ ... له انْقِضَاضَ سَوْرَة العُقاب[3]
على القلايا وعلى الجَوْذاب ... يَحْمِلُ حملاتِ أبى تُراب[4]
فى يوم صِفين وفى الأحْزابِ ... بالجَدْى منه أثر الذئاب[5]
يمغثه مغثةَ ليثِ الغابِ ... بكفه وظفره والناب[6]
فعامِرُ الميدةِ فى خرابِ ... وصاحبُ المنزلِ فى عذابِ[7]

لسود مايأتى من الآدابِ !!

وهجاء ثان له أيضا :

● وقال على بن المحسن فيه أيضا يهجوه :

طُفَيْلِىٌّ على فرسٍ يَدُورُ ... يُقدّر .. عند مَنْ غلت القدور[8]

---

(١) الطّنز : السخرية . أدوَرُ : أكثر لفًا ودورانا . والدولاب الساقية . فهو يظل طول نهاره يبحث عن الطعام !

(٢) الحُباب : الحية ، فهو يتسلل فى جرأة وعلى حين غفلة غير خائف من أن يردّه البواب . لا يفرق : لا يخاف . الفرق : الخوف .

(٣) إن عامله البواب بشدة وقسوة موجها إليه أخشن الكلام بدلا من أهلا وسهلا .. شرفت إلخ فما عليه إلا أن ينقضّ على الطعام انقضاض العُقاب وهو الطائر الجارح فى سورته وشدته .

(٤) أبو تراب : الإمام على ــ رضى الله عنه ــ والمراد : أنه لا يقيم وزنا لكلام البواب ويهجم على الطعام كأنما هو فى ميدان قتال ، وكأنه بطل الأبطال . والقلية : مرقة تتخذ من لحم الجَزُر ، والجُوذاب : طعام يتخذ من سكر ولحم وأرز .

(٥) ويفعل بالجدى كما يفعل الذئب المفترس .

(٦) المغْثُ : التمزيق والدلك .

(٧) الميدة : المائدة . أى لا يبقى ولا يذر فتصير خرابا يباباً . وهكذا يكون التطفيل عقابا لصاحب المنزل وبوابه على سوء أدبهما .

(٨) إنه يدور بفرسه يبحث ويفكر عن أصحاب الموائد .

بأوقاتِ الموائد حينَ يُؤتى بها للأكلِ عَلّام خبير !!
له فى الغَيْب اصطرْلاب وَحْيٍ بمائدة إذا وضعت نذيرُ[1]
فبطليموس فى تحديد وقتٍ إليه ـ بغيرمَا غلطٍ ـ يشيرُ
ولو قالوا : بتَاهْرتٍ طعامٌ لمر إليه تطفيلا يسيرُ
كأنّ علَى الموائدِ منْه ليثاً على خِيوانها حَنَقًا يزيرُ[2]
فرَبُّ الدارِ منه فى حصارٍ ومَنْ فيها بخدمته ضَجُورُ
يكنى بالفضائل وهو نقصٌ على طنزٍ بلحيته صبور
يراها فى المنام !

وأنشد بعض الأدباء :

يُعْجِبُه مَنْ عِنْدَهُ دَغْوَةٌ فهو يراها أبداً فى المنام !
كتب التطفيلُ فى وجهه : هذا حبيسٌ فى سبيل الطعام !

فى طلب الثّريد !!

أنشد على بن أبى على النضير عن أبيه لأبى الحارث الموصلى فى « طاهر الهاشمى » يهجوه بالتطفيل :

عَمْرو العُلَا ساد الورى بالجودِ والفعلِ الحميدِ
هشَمَ الثريدَ لقومه والنّاسُ فى ضُرٍّ شديد
وهشَمت أنتَ وجوه أهـ ـل الأرض فى طلب الثّريد
حتى ارتجعتَ ثريده وشرعتَ فى طلب المزيد
فلَوَ آنّ قوما يشترو ن الحَبّ فى جَبَلى زرود
لطرقتهم بضيائهم فى نارهم ذات الوقود
وإذا سمعت بثَردَةٍ أُلْفِيت مِنْها بالوَصِيد

---

(١) لديه جهاز إنذار داخلى زُوّدبه يحدد له تماما وقت وضع المائدة ، يعترف بذلك كبير علماء التوقيت بطليموس ويشهد له بذلك والأصطرلاب : آلة يعرف بها الوقت .

(٢) وتراه على الموائد أسداً يزأر حنقا وغيظا يريد أن يفتك بألوان المطاعم على الخوان (المائدة) .

أطفلُ من ليلٍ على نهـار !!

وأنشد على بن أبى على عن أبيه لغيره :

أطفلُ من ليـلٍ على نهـارِ كأنه فى الدارِ رَبُّ الدار !

عـمّ يتخـلف الطفيلى ؟

وقال محمد بن سَلَمة : مات ليسار الوراق «بنت» فى يومٍ حارّ ، فلم يحضر إليه جيرانه ، وتخلفوا عنه إلا نُفَيراً ، حتى أبردوا ، وقد حُمِلَت ، فتبعه منهم قوم ؛ فلما انصرفوا قال :

تخلف عنى كل جافٍ ضرورة وكل طُفَيْلىٍّ من القوم عاجزُ
سَريعٌ إذا ما كان يومُ وليمةٍ بطىء إذا ما كان حملُ الجنائز

يأكل زاد الورى كله :

وأنشد محمد بن الحسن بن عبيد الله البزار لعلى بن العباس بن جريج الرومى فى أكولٍ من الطفيليين :

يخـالف إخـوانه فى الطـريق إلى أن تضمهـم المـائدة
فبينـا كـذاك إذا هُـمْ بـه مع القـوم كالحيـةِ الراصـدة
يُليـنُ الطحـينَ على ضرسـه ولو كـان من صخـرةٍ جـامدة
ويأكـل زاد الـورى كـلّه ولكنهـا أكـلة واحـدة
فلـو عاينتـه جحيـم الإلـه لخـرت لمعـدته سـاجدة !!

يأكل باليسرى واليمين معاً !!

وقال على بن المحسن التنوخى :

وجدت فى كتاب جدّى القاضى أبى القاسم على بن محمد بن أبى الفهم بن أبى العلاء قال :

أنشدنى إسحق بن محمد بن أبان النخعى لبعض البصريين فى طفيلىّ :

يمشى إلى الدعوة مستذفِراً ... مَشْىَ أبى الحارثِ ليثِ العرين
لم ترَ عَيْنى آكلاً مثلَه ... يأكل باليسرى معاً واليمين !
تجول فى القصعة أطرافُه ... لعب أخى الشطرنج بالشاهين